الصباح الإسلامية
09
العدد 2338 - السنة الثامنة
الأحد 2 ربيع الأول 1437 - الموافق 13 ديسمبر 2015
Sunday 13 December 2015 - No.2338 - 8th Year

إعداد : ياسر السيد

يعتبره الدين الحنيف نعمة وفضلاً لأنه عامل مهم للراحة والسعادة

أهمية الأمن .. من منظور إسلامي

إن البصير بالشريعة الإسلامية العليم بغاياتها ومقاصدها يعرف مكانة الأمن السامية في الإسلام، فإذا كانت رؤية الإسلام قد اقتضت أن يكون الأمن اجتماعيا لا تقف طمانينته عند دنيا الفرد، بل جعلت جماعيته واجتماعيته السبيل لتحقيقه في الإطار الفردي، وعليه فإن الرؤية الإسلامية قد تجاوزت بأهمية الأمن الاجتماعي الحق الإنساني لتجعله فريضة إلهية، وواجبا شرعيا، وضرورة واقعية لاستقامة العمران الإنساني، كما جعلت الرؤية الإسلامية إقامة مقومات الأمن الاجتماعي الأساس لإقامة الدين، فرتبت على صلاح الدنيا بالأمن صلاح الدين، وليس العكس ـ كما قد يحسب الكثيرون.

وتأتي شرعية الأمن في الإسلام من قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) البقرة:208.

وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن. قيل من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يامن جاره بوائقه

فامر الله لعباده المؤمنين بان يدخلوا في السلم كافة أي يأخذوا الدين من جميع جوانبه كما قال بعض المفسرين يدخل فيه الأمن والأمان والاستقرار، ورفع الإيمان عن المسلم الذي لا يامن جاره أذيته، كل ذلك يؤكد أهمية الأمن في الإسلام، ويقرران مشروعيته ومنزلته في الشريعة الإسلامية، وما ذلك إلا لخير البشرية وحرص الإسلام على العيش في نعمة الأمن ومتعة الطمانينة.

إن الإسلام يعتبر الأمن نعمة وفضلا، لأنه عامل من أهم عوامل الراحة والسعادة لبني الإنسان في الحياة، يتحصنون به من غوائل الفوضى وجوائر الشرور، ويتنعمون في ظله بالهدوء والاستقرار والاطمئنان، وقد أشار القرآن إلى دعوة إبراهيم عليه السلام ربه أن يرزق مكة الأمن قبل أن تكون مكة حين أودع قضاءها الشاسع زوجه وفلذة كبده، وذلك بوفود جماعات من الناس إليها، يستقر بها القرار فوق أرضها ويتنشر الأمن والطمانينة بين أرجائها، فقال تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير) البقرة:126.

وقد وعد الله المؤمنين بالأمن في حياتهم إذا آثروا الهدى على الضلال، والتقوى على المعصية، والحق على الباطل، والعدل على الجور والظلم والتوحيد على الشرك، قال سبحانه: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون) الأنعام:82.

وقال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور:55.

إن قرضية الأمن في الإسلام منبثقة من النتائج والأهداف التي تتحقق على يد الفرد الآمن والمجتمع الآمن كما ان الحفاظ على الأمن ثقافة حضارية تمكن الفرد والمجتمع من التقدم العلمي وتظهر السمو الأخلاقي لذلك المجتمع وهذه الثقافة من أهم الأسباب التي ترفع عن الأمة الضعف وعوامل السقوط، ويغرس فيها الوعي بأهمية توافر كل مصادر القوة المتاحة والتي تمكنها من ردع كل من يحاول زعزعة أمنها واستقرارها.

والأمن نعمة من أجل نعم الله عز وجل – على عباده وهي مطلب كل أمة وغاية كل دولة ومن أجلها جندت الجنود ورصدت الأموال وفي سبيل تحقيقها قامت الثورات والصراعات ونعمة الأمن كانت أول دعوة دعا بها أبونا إبراهيم – عليه السلام – حيث قال : ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)) سورة إبراهيم آية (35)

فقدم – عليه السلام | نعمة الأمن على نعمة الطعام والغذاء فما قيمة الغذاء إذا لم يتوفر الأمان ونعمة الطعام لا تستساغ مع ذهاب الأمن ونزول الخوف ولقد امتن الله تعالى على عباده بهذه النعمة فقال – سبحانه وتعالى : ((وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) سورة الأنفال آية (26

وقال – سبحانه : ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ)) سورة العنكبوت آية (67)

إننا إن تخلينا عن ديننا وكفرنا بنعم ربنا فسنحدق بنا المخاطر وإذا لم نتمسك بديننا ونشكر نعم الله تعالى – علينا فستحل بنا المخاوف وتنتشر الجرائم ويتهدم جدار الأمن إنها سنة الله تعالى – التي لا تتخلف ولا تتبدل ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)) سورة النحل آية (112)

عوامل تحقيق الأمن في الإسلام:

تتعدد عوامل تحقيق الأمن كما تتنوع أسبابه، وذلك لتعدد مستويات الأمن ودرجاته، فهناك: أمن الفرد، وأمن المجتمع، والأمن القومي، والأمن الاقتصادي والسياسي، والغذائي ،والمائي والأمن الفكري وكذلك الأمن الاجتماعي.

ومن ثم يتطلب تحقيق الأمن لهذه الشتات إجراءات سلوكية وسياسية وعسكرية وأيديولوجية واقتصادية أيضا.

وقد وسع الإسلام كل هذه الإجراءات وتلك العوامل، ولكن لا يتسع المقام لبسط القول في جميع هذه العوامل،لكننا سنذكر منها ثلاثة عوامل فقط، وهي:

أولاً التربية الإسلامية:

حرص الإسلام على تربية أتباعه على أسس تربوية صحيحة تحقق لهم عيش حياة هادئة مطمئنة تحضهم على الإسهام في صنع حضارة ذات طابع أخلاقي وعلمي في آن واحد. ومن أبرز الأسس التي تحقق الأمن والسكينة في تربية الإسلام لأتباعه العقيدة الصحيحة التي توجه الفرد والمجتمع إلى الخير وتمنعهم عن الشر، وتجعل منه نموذجا للإنسان الصالح الذي يستثمر مواهبه في الخير الذي يعود نفعه على الإنسان والبشرية جمعاء لقد غذت الحضارات غير الإسلامية أبناءها بالكراهية وحب السيطرة والاستعمار واستغلال القوة في نشر الفساد والإفساد في الأرض.

ويشهد على ذلك الحروب والمعارك التي دارت بين فارس والروم وما شهدته الجزيرة العربية من معارك ضارية قامت على أسباب هزيلة وعقول مريضة وطباع سقيمة قضت على الأخضر واليابس ومن ثمّ فإن العقيدة الإسلامية غرست في نفس المسلم حب الخير للجميع ابتداء من هدايتها للإنسان إلى عبادة الله وحدة وانتهاء بالتعاون معه على البر والتقوى.

ثانياً: الاستقرار:

أقام الإسلام قواعد الاستقرار على العدل والإحسان وصلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر والظلم والبغي بغير الحق، وإقامة الحدود التي تصون كيان المجتمع وتحميه من التفكك والتشرد والضياع فقال سبحانه: (إن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) النحل:90.

كذلك حقق الإسلام الاستقرار عندما دعا إلى الحوار ونشر الحريات والأخذ بالشورى، فقال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) النحل:125.

ومما يسهم في تحقيق الاستقرار للفرد والمجتمع إقامة عدالة اجتماعية تذيب الطبقية وتقضي على عبودية الإنسان لأخيه الإنسان، وتعمل على توزيع الثروات، ومكافحة، الجوع والفقر، ونصرة المظلوم والتعاون ونبذ الفرقة، ومراعاة حقوق الأقليات، والتحرر من الخوف، واتباع القدوة الحسنة. فقال سبحانه: (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) الحجرات:11.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا) رواه البخاري.

ثالثا: السلام:

إن مكانة السلام في الإسلام ظاهرة جلية في كثير من آيات القرآن المجيد، قال تعالى: (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) يونس:25.

وجعل الله السلام تحية أهل الجنة، قال تعالى: (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) يونس:10.

بل سمّى الآخرة بدار السلام ليحض المسلم على السعي نحو السلام والتنعم بظلاله ونعيمه، قال سبحانه: (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) الأنعام:127.

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ الحقوق ونهى عن الظلم ودعا المسلمين إلى أن يكونوا عبادا لله إخوانا، فقال صلى الله عليه وسلم: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. رواه البخاري وفي رواية:وكونوا عباد الله إخوانا.

إن الإسلام رفع راية السلام منذ اللحظة الأولى لميلاده، ولم يعلن حرباً إلا إذا كان قد دُفع إليها دفعا، ولقد ظل ثلاث عشرة سنة بين ربوع مكة محاولا نشر دعوته في ظل السلام فما استطاع، واضطهد أتباعه اضطهاداً لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية ومع هذا كله كان يامر أتباعه بالجنوح إلى السلم والأخذ بالعفو والإعراض عن الجاهلين فليس هناك دين دعا إلى السلام كما دعا إليه الإسلام، ولا مذهب من المذاهب القديمة أو الحديثة أسهم في تدعيم أسس السلام كما أسهم الإسلام.

فالسلام في الأرض هو هدفه ودعوته، ورسالته، ولم تكن حروبه في الواقع إلا وسيلة لإقرار هذا السلام في الأرض.

موقف الإسلام من التعصب والإرهاب:

لقد قضى الإسلام على كل العوامل التي تفرز العقول السقيمة والنفوس المريضة التي تسيطر على سلوك الشخصية التي تصدر العنف وتقر بالإرهاب.

وقد حرّم الإسلام على المسلمين دماءهم وأعراضهم وأموالهم، وحض على العفو والتسامح والإحسان إلى المسيء ومراعاة حقوق الآخرين في الحياة والأمن والرأي والكسب والتمتع بنعيم الدنيا وما إلى ذلك من الحقوق فقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا. وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران: 102.104.

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه : أي يوم هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال :أليس يوم عرفة قالوا بلى قال :أي شهر هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال :أليس الشهر الحرام قال :فاي بلد هذا قالوا:الله ورسوله أعلم قال أليس البلد الحرام قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضهم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. رواه البخاري

ويتبيّن مما ورد في بعض آيات القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية أن التعصب الذي يؤدي إلى الظلم والإرهاب حرام شرعا، وأن الذي يأتي هذه الأعمال الإرهابية ليروع أمن الناس ويعكر صفو حياتهم بعيد كل البعد عن شرع الإسلام وآدابه، وجاهل بمنهجه وأخلاقه، ولم يدرك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ظلم من الأرض شيئا طوقه الله من سبع أرضين) رواه البخاري

والإرهاب من أكبر أنواع الظلم وكذلك التعصب، لأن ما ينتج عنهما من أضرار مادية ومعنوية للفرد وللأمة يؤدي إلى زعزعة الأمن وفقدان الاستقرار ووقوع الخسائر الفادحة في الأموال والأنفس، ومن ثم يقع الإرهاب في دائرة الأفعال الإجرامية التي يحارب بها الإرهابي الله ورسوله، قال تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم. إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) المائدة:33.34.

ومن هنا يمكن القول: إن الإسلام حارب التعصب ودعا إلى الجدال بالتي هي أحسن، والإرهاب من أشد أنواع الظلم ومن ثمّ يحرم الإرهاب وزعزعة الأمة، ويتوعد كل من يقدم على هذه الأعمال الإجرامية بالعذاب العظيم في الآخرة والخزي في الدنيا، إلا من تاب وآمن وبدّل حسنا فإن الله غفور رحيم.

من دروس غزوة الأحزاب .. تأصيل الشورى

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بزحف الأحزاب إلى المدينة، وعزمها على استئصال شأفة المسلمين، استشار المسلمين، وقرروا بعد الشورى: التحصن في المدينة والدفاع عنها، وأشار سلمان الفارسي –رضي الله عنه– بحفر الخندق، وقال: يا رسول الله، إنّا بأرض فارس، إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا، فامر بحفر الخندق، واستمر الحصار نحو شهر تقريبًا، وعظم البلاء، وانخلعت القلوب وشاع النفاق، وظنّ بالله كل ظن، وبلغت القلوب الحناجر، ونكتفي هنا بمثال واحد: قال بعض المنافقين (معتب بن قشير): كان محمد يعدنا بكنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يامن على نفسه أن يذهب إلى الغائط

وقال (أوس بن قيظي) على ملا من رجال قومه: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة، وليس دار من دور الأنصار مثل دارنا، ليس بيننا وبين غطفان أحد يردهم عنّا، فاذن لنا فلنرجع إلى دورنا

فلما اشتد البلاء على الناس، وحقًا الدماء المسلمين، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عوف المري –قائدي غطفان– يعطيهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، وأحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان –رضي الله عنه– الصلح، وهموا بكتابته، ولم تقع الشهادة ولا عزيمته إلا المراوضة في ذلك، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمر تحبه فنصنعه، أم شيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: «بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فاردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما»

فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك وبه نعطهم أموالنا؟! والله ما لنا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فانت وذلك». فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا

إن ما يلمحه الإنسان في هذه الغزوة وفي غيرها من حوادث السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنزل الشورى منزلتها، وأصّلها في حياة الأمة: إذ لا بد من توسيع قاعدة الرأي، والحاجة إليها إنما تكون خاصة في الشدائد والقرارات المصيرية والملمات على غاية من الأهمية، حيث يكون الخطأ قاتلا. فالشورى استفادة من كل الخبرات والتجارب، واجتماع للعقول في عقل، وقضاء على الاستبداد والفردية في الرأي، وبناء يساهم الجميع في إقامته، ومن ثمّ تكون أعلى أنواع التضحية والبذل في الدفاع عنه

والرسول صلى الله عليه وسلم مستغن عن الشورى بالوحي، فهو المؤيد بالوحي، وهو المسدد به، لا حاجة به إلى الشورى، لكن لا بد من تأصيلها لتكون أصلا من أصول الحكم لا يملك المجتمع المسلم أن يحيد عنها، كما لا يملك الحاكم المسلم أن يتجاهلها أو يعتدي عليها، ويقظة المسلم دائمة في العمل لها وعدم التنازل عنها؛ لأن ذلك –إلى جانب كل مضاره في الدنيا– مدعاة لسخط الله الذي جعلها من سمات مجتمع المسلمين بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38].

ومع ذلك لا يزال في عالم المسلمين اليوم من يستهويه الاستبداد، ويتصيد الوقائع التاريخية، ويجهد نفسه في تفسير النصوص ليخرج على المسلمين بأن الشورى ليست ملزمة للحاكم، وإنما هي معلمة له فقط، وأن الحاكم بالخيار إن شاء عمل بها وإن شاء تركها، وأعطى الحاكم في الدولة وأعطى المسئول عن أية جماعة مسلمة من العصمة ما لم يعطه النبي المرسل صلى الله عليه وسلم عندما سأله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة: شيء أمرك الله به لا بدّ لنا من العمل به، أم شيء تصنعه لنا وإذا كانت إلزامية الشورى أو إعلاميتها اجتهادًا يمكن أن يخطئ ويصيب، كما هو الحال في سائر الاجتهادات، فما هو المسوّغ للاستمساك بعدم إلزامية الشورى والدفاع عن ذلك بعد هذه الانهيارات الرعيبة وألوان الاستبداد في عالم المسلمين، وهذا الفردي والتصرف الفردي في بعض الجماعات التي تعمل للإسلام؟!

دعاء تفريج الكروب

اللهم انى عبدك وابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماضي في حكمك عدل في قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او ايا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ـ سبحان الله العظيم يا حي يا قيوم يا نور يا قدوس يا حي يا الله يا رحمن اغفر لي الذنوب التي تحل النقم و اغفر لي الذنوب التي تورث الندم والذنوب و التي تحبس القسم و اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم و اغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء و اغفر لي الذنوب التي تعجل الفناء و اغفر لي الذنوب التي ترد الدعاء و اغفر لي الذنوب التي تمسك غيث السماء و اغفر لي الذنوب التي تظلم الهواء و اغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء....